الشهيد الحي

طلحة بن عبيد الله

رضي الله عنه

لا يفترق الأحباب.. إذا ما رأوا الحق

«ظهر النبي يا طلحة ».

قالها أحد رهبان البصرة في استبشار وهدوء لطلحة بن عبيد الله، والذي كان في تجارة له في أرض بصرى بالعراق، والذي ما كاد يسمع كلام الرهبان، حتى التفت إليه في انتباه قائلا:

- نبي..أي نبي ؟

أجابه الرهبان مبتسما:

- محمد.. نبي آخر الزمان، ظهر في مكة يا طلحة.

وتابع وهو يضع يده على كتفه ويشد عليه قائلا:

- عندما تعود إلى مكة يا طلحة، لا تتردد في الإيمان به واتباعه.

ونظر ببصره إلى الأفق وهو يقول في شرود:

- إنه النبي الحق..الحق.

لم تكن كلمات الرهبان لتترك رأس طلحة، طيلة رحلته من البصرة في طريق العودة منها إلى مكة.

كان الخبر مفاجئا، لكنه كان قريبا جدا من المنطق.

ليس من السهل أن يتلقى إنسان خبر ظهور نبي في بلده..

كما أنه ليس من السهل أن يصدق بسهولة أن أحد أفراد بلدته هو نفسه هذا النبي.

لكن الأفكار كانت لا تزال تصارع بعضها البعض في رأس طلحة حتى وصل إلى مكة .

وبمجرد وصوله إلى مكة..بدأ سعيه في التأكد من الخبر، وكان أول من فكر في الذهاب إليه أبو بكر الصديق، صديقه وقريبه من بني تيم، والرجل الذي يطمئن إليه في أمر خطير كهذا.

وفي بيت أبي بكر دار الحوار والنقاش.. وعرف طلحة كل شيء ووضح كل شيء. .

لقد أسلم أبو بكر..

إذن لقد اجتمع أبو بكر ومحمد على أمر واحد.. وكانت ثقة طلحة في الرجلين تمنعه إلا أن يقتنع إلا بأمر واحد..

أن هذا الدين حق.. وأن محمد نبي لا شك.

وكان طبيعيا بعدها أن ينتهى الحوار بين أبي بكر وطلحة برغبة طلحة في الذهاب إلى رسول الله ﷺ، ويذهب طلحة إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه بين يديه..ويصبح ثامن من يؤمنوا بالله على وجه الأرض.

إلا أن خبر إسلامه هو وأبو بكر ينتشر بين قريش، والتي عزمت على معاقبته هو وأبي بكر على

يد نوفل بن خويلد، رغم ثرائهما العريض ومكانتهما في المجتمع..

إلا أن نوفل بن خويلد سرعان ما فكر في الأمر وخشي من عاقبة الأمور فقرر تركهما.

ومضى طلحة في مكة طيلة ثلاثة عشر عاما يحمل هم الدعوة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، ويقاومون في سبيل ذلك شتى أنواع الظلم والاضطهاد..

ويمضى طلحة في الطريق الطويل وكله أمل في نصر قريب رغم ما تعرض له من حصار اقتصادي رهيب استمر ثلاث سنوات كاملة، تأثرت تجارته فيها لا شك تأثرا كبيرا.

إلا أن هذا كله لم يكن ليقلق طلحة قدر ما كان يقلقه مصير حبيبه رسول الله ﷺ ومصير دعوته..

إلى أن جاء موعد الهجرة إلى المدينة..

وهناك.. كان لطلحة شأن آخر.

«يا حبيبي يا رسول الله».

صرخ بها طلحة بن عبيد الله بكل قوته والدموع تترقرق في عينيه بعد أن وجد رسول الله ﷺ وقد وجهت إليه السهام من كل اتجاه في غزوة أحد..

كان النصر قد اقترب جدا من المسلمين، إلا أنه - وعلى غير المتوقع بالمرة - يخالف المسلمون أمر الرسول ﷺ، وينزل الرماة من على جبلهم، وينتبه خالد بن الوليد للثغرة التى فتحها المسلمون في الجيش، فينقض عليهم وتنقلب المعركة مائة وثمانون درجة، ويحدث اضطراب شديد للمسلمين، وينتهز المشركون الفرصة ويجدونها سانحة لضربتهم الكبرى التي طالما خططوا لها منذ زمن..

اغتيال الرسول ﷺ.

وما إن وجد البطل طلحة بن عبيد الله السهام توجه إلى رسول الله ﷺ من كل اتجاه، حتى انطلق بكل ما أوتي من قوة وسرعة متجها إلى رسول الله ﷺ، وما إن اقترب منه حتى انفطر قلبه واقشعر جسده بعد أن رأى الدماء الطاهرة تسيل من جسده ووجهه، وقد زلت قدمه في حفرة أعدها له المشركون ليفتكوا به.

وبخفة حركة وقوة ورشاقة لا يستطيع أن يجمع بينهما إلا الأبطال من أمثال طلحة، انتشل طلحة الرسول ﷺ من الحفرة، وأخذ يحمى الرسول ﷺ بجسده ويحمل سيفه بيمينه يحارب به من يحاول الاقتراب في شراسة وبطولة منقطعة النظير..

في نفس الوقت.. الذي كانت السهام فيه تنهال على طلحة، فتخترق يده وجسده فلا يستطيع أن يردها وهو ثابت لا يتزحزح قيد أنملة من أمام الرسول ﷺ، الذي كان قد بلغ قمة الإجهاد والتعب، وقد بلغ سنه الخمسة والخمسين عاما.

وظل طلحة ثابتا، حتى اخترقت جسده أكثر من سبعين طعنة وأصيبت يسراه بالشلل وقطع

إصبعه...

ورغم كل ما أصابه لم يكن ليفكر لحظة في أن يتوارى عن موقعه فينكشف الرسول ﷺ، حتى جاء المدد من أصحاب رسول الله ﷺ، وعاد التوازن إلى المعركة مرة أخرى ، وانصرف كل فريق إلى حاله.

لم تكن كل هذه الجراح تعني طلحة، بقدر ما كان يقلقه أشد القلق ما حدث لحبيبه ﷺ.

وماذا يفيد طلحة لوأن جسده سليم معافى، ورسول الله ﷺ يتألم من جراحه ؟

وماذا يضير طلحة لوأن بجسده أكثر من سبعين طعنة، وقد شلت يسراه وقطع إصبعه.. ورسول الله ﷺ قد خفت جراحه ؟

إنه الحب الأسطوري الخالد، الذي لم نعرفه إلا مع أمثال طلحة بن عبيد الله..

لقد كانت بطولة طلحة يوم أحد بطولة نادرة، جعلت الصديق «أبا بكر» يلقب يوم أحد بيوم طلحة بن عبيد الله:

تقول عائشة رضي الله عنها:

- كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول: ذلك كله كان يوم طلحة.. كنت أول من جاء إلى النبى ﷺ، فقال لي الرسول ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: دونكم أخاكم.. ونظرنا وإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية.. وإذا إصبعه مقطوع. فأصلحنا من شأنه.

وبعد عودة الرسول ﷺ من أحد، أخذ يخطب في الناس، ويتلو عليهم ما نزل من آيات تعالج الموقف الصعب والحالة النفسية المنهارة للمسلمين..

وأخذ رسول الله ﷺ يتلو:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وبعد ما تلا الرسول ﷺ الآية، إذا به يتجه ببصره من بين كل الصحابة، إلى طلحة بن عبيد الله ويقول في ابتسامة وشفقة:

«من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض، وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة»

وبمجرد أن انتهى رسول الله ﷺ من كلامه، حتى انفرجت أسارير طلحة، وشعر أن مكافأة البطولة والتضحية قد جاءت بأسرع مما يتوقع.

لقد أصبح طلحة الآن من أهل الجنة..

لقد نال طلحة وبأقصى سرعة شهادة لم ينلها مئات الصحابة بجانبه..

ليس هذا فحسب..بل إن الرسول ﷺ قد بشره بما هوأكثر وأعظم..

فلقد قال الرسول ﷺ:

«طلحة والزبير جاراي في الجنة».

أظن أن طلحة كان يتمنى أن يعاد يوم أحد مئات المرات، ليزف الرسول ﷺ إليه البشرى مئات المرات..

كان من الممكن أن يركن طلحة إلى بشارة الرسول ﷺ فيتكاسل ويقلل من جهده في سبيل الله بعد أن اطمئن أنه من أهل الجنة...

لكن أمثال طلحة يرون ذاتهم وسلوى حياتهم في طاعة الله ورسوله ﷺ، وحبهم أكثر من النفس والمال وأي شيء..

لقد أنفق طلحة الكثير والكثير في سبيل الله من مال تجارته الناجحة..

كان ينفق بكرم غير عادي، حتى يفيض بخيره على كل من يراه..فإذا به يأخذ لقبا ساميا من خير الخلق أجمعين ﷺ فيسميه.. طلحة الخير.. وطلحة الفياض...

وكان رضي الله عنه من أكثر الناس برا بأهله وأقاربه، وكان يعولهم جميعا، حتى قيل:

- كان لا يدع أحدا من بنى تيم عائلا إلا كفاه مؤونته، ومؤونة عياله.. وكان يزوج الأيامى منهم، ويخدم عائلهم، ويقضي دين غارمهم.

ويقول السائب بن زيد:

صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فما وجدت أحدا، أعم سخاء على الدرهم، والثوب، والطعام من طلحة.

تقول زوجته سعدى بنت عوف:

- دخلت على طلحة يوما فرأيته مهموما، فسألته: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي، قد كثر حتى أهمنى وأكربني... فقلت له: ما عليك، اقسمه، فقام ودعا الناس، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقي منه درهما.

وفي أحد الأيام.. باع أرضا له بثمن عال، فلما رأى المال أمامه فاضت عيناه من الدمع وقال:

- إن رجلا تبيت هذه الأموال في بيته، لا يدري ما يطرق من أمر، لمغرور بالله! فدعا بعض أصحابه وحملوا المال معه، ومضى في الشوارع يوزعها حتى أسحر(جاء وقت السحر) وما عنده منها درهما.

وظل طلحة ينفق وينفق في خدمة الناس وفي سبيل الله، إلا أن السنوات تمر وكلمات الرسول ﷺ ترن في أذنيه لا تهدأ..

«سيقتل طلحة شهيدا في سبيل الله».

ولكن متى ؟

وظل طلحة يسأل نفسه هذا السؤال سنوات وسنوات..

إلى أن جاءت الإجابة في مطلع خلافة علي بن أبي طالب..

في موقعة الجمل.

* * *

كان الموقف رهيبا، وأصعب من أن يتخيله أحد..

فمن يجرؤ أن يتخيل أن ينقسم الصحابة إلى فريقين يحاربون بعضهم بعضا بالسلاح، يتمنى بعضهم أن يقتل الآخر؟!

إنها الفتنة التاريخية..أوالكارثة التاريخية التي حلت بصحابة رسول الله ﷺ .

يقتل عثمان.. ويختار المسلمون «علي بن أبي طالب »، ويرفض معاوية البيعة لعلي..

وتبعث الرسائل لمدة شهرين بين علي ومعاوية لتهدئة الموقف وحقن الدماء..إلا أن معاوية يصر على موقفه.

ولم يبق إلا الصدام..

ويجهز على بن أبي طالب جيشا ويذهب به إلى الشام لمواجهة معاوية..في نفس الوقت الذي تعرف فيه السيدة عائشة بالخبر في طريق عودتها إلى المدينة من رحلة الحج ..

وبمجرد أن علمت السيدة عائشة الخبر، تغضب غضبا شديدا وتغير وجهتها مرة أخرى إلى مكة، وفي مكة .. تقابل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وبعض بنى أمية من أقارب عثمان، ليتفقوا على تجهيز جيش لمحاربة من قتلوا عثمان ويجتمعوا عند البصرة، ويرفض والي البصرة دخولهم، ويدور قتال يلقى فيه ستمائة من الفريقين مصرعهم، وعندما يصل على بن أبي طالب، يعقد صلحا لحقن الدماء، إلا أن اليهودي «عبد الله بن سبأ» يشعل الفتنة مرة أخرى، ويحدث جيبا داخل الجيش، ويغير على جيش السيدة عائشة وهم نائمون..

وتشتعل المعركة من جديد.. وتدور موقعة الجمل..

كان اغتيال عثمان بن عفان قد أثر في طلحة تأثيرا كبيرا، جعله يساند المعارضة بعنف للانتقام من قتلته بأي صورة، وكانت حماسته في ذلك بلا حدود ، حتى إنه وقف قبل المعركة يتضرع إلى الله سائلا إياه قائلا:

اللهم خذ مني لعثمان اليوم حتى ترضى.

ورغم كل هذا الشوق للتضحية من أجل الثأر لعثمان، إلا أن المشهد الآن أصبح أكبر من أن يتحمله طلحة.

طلحة بن عبيد الله وعلي بن أبي طالب، يقفان وجها لوجه بسيفيهما، يريد كل واحد منهما أن يقتل الآخر !!

الآن يقف اثنان من خيرة الصحابة، بشرهما الرسول ﷺ بالجنة من فرط حبه لهما، يتحاربان في مشهد عنيف، لا زالت تبكي له الأمة الإسلامية حتى الآن..

كيف يتحول الحب والأخوة وتاريخ طويل من الجهاد تحت راية واحدة، إلى كل هذا العداء؟!

كيف ستستطيع الأيادي التى طالما رفعت مهللة: «الله اكبر» تحت راية واحدة، والأذرع التي طالما انفتحت على مصراعيها لتحضن الأحبة، أن تحمل السيف لتقتل أعز الناس.. وأغلى الناس؟!

إن مشاعر هذا المشهد لا يمكن أن توصف بالكلمات..

ربما استطاعت ساعتها دموع على بن أبي طالب أن تصفها، عندما أبصر أم المؤمنين عائشة في هودجها على رأس الجيش الذي يخرج الآن لقتاله..

عندها نظر إلى طلحة بأسى وحسرة وهو يقول بصوت متهدج:

- يا طلحة، أجئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت؟!

ونظر إلى الزبير بن العوام بحزن الدنيا كله وهو يقول:

- يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا، فقال لك: «يا زبير، ألا تحب عليا..؟».

فقلت: ألا أحب ابن خالي، وابن عمي، ومن هو على ديني؟!

فقال لك: «يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم!!».

قال الزبير: نعم.. أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك.

وبينما هما في هذا الحديث الصعب على النفس، يرفع الزبير بصره لعله يستحضر ذكريات مرت عليها سنوات وسنوات.. فإذا ببصره يقع فجأة على عمار بن ياسر، وفي لمح البصر، تتبادر إلى ذهنه جملة تذكرها على لسان رسول الله ﷺ لعمار، أوجعت قلبه أكثر مما أوجعه كلام علي، حيث قال الرسول ﷺ لعمار :

«تقتلك الفئة الباغية»..

يا لها من صدمة.. لقد أدرك طلحة والزبير الآن أنهما من الفئة الباغية..

كانت الكلمات التي دارت في الحديث بين علي والزبير، كالسهام النافذة التي لا رد لها..

لم يستطع طلحة والزبير أن يتحملاها بعدما أرجعهما على إلى ذكريات الرسول ﷺ الجميلة من سنوات خلت.. لم يتحملا أن يصبحا من فئة أقر رسول الله ﷺ بملء فيه.. أنها الفئة الظالمة..

وما كان لمجاهدين عظيمين مثل طلحة والزبير، أن ينهيا حياتهما ظالمين وهما اللذان عاشا

حياتهما مجاهدين في سبيل نشر العدل والحق في ربوع العالم.

وبدأ يشعر طلحة هو والزبير بضغط نفسي رهيب، ورأيا أنه لا يمكن التخلص منه إلا بالانسحاب من المعركة..

وبالفعل انسحبا..

وكانت لحظة الانسحاب.. هي اللحظة التي بدأت فيها بشارة الرسول ﷺ لطلحة تتحقق..

فما إن انسحب طلحة، حتى رماه مروان بن الحكم بسهم أرداه قتيلا..

لقد شاء الله أن يقتل طلحة بعد أن اتقى شر الفتنة بسهم واحد، وهوالذي لم يمت بأكثر من سبعين طعنة في غزوة أحد!!

دقائق كانت ستفرق بين مقتل طلحة الظالم، واستشهاد طلحة العادل.

الآن تحققت البشارة..الآن قتل طلحة..

وأمام هول ما حدث.. أدركت السيدة عائشة تسرعها في قرار الحرب، فغادرت البصرة إلى البيت الحرام، نافضة يديها من هذا الصراع، وزودها الإمام علي في رحلتها بكل وسائل الراحة والتكريم..

وبعد المعركة.. راح علي يستعرض شهداء المعركة ويقوم بدفنهم..

ولما فرغ من دفن طلحة والزبير، نزلت الدموع من عينيه وهو يدعو لهما بكلمات رقيقة حزينة قائلا:

- إني لأرجوأن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان، من الذين قال الله فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:٤٧].

وبكل حنان الدنيا.. نظر علي إلى قبريهما نظرة وكأنه يضم بها قبريهما إلى صدره الضمة الأخيرة، وهو يقول في صوت خافت:

سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺ يقول:

«طلحة والزبير، جاراي في الجنة»...

هنيئا لك يا طلحة ببشرى رسول الله ﷺ..

وهنيئا لك بجوار رسول الله ﷺ..

وهنيئا لك بأنك لم تر في حياتك.. ما حدث بعد مماتك.

* * *

دروس وتحليل

١- بين الحين والآخر نتعرض لسماع أخبار غريبة أو خطيرة، ينبغي اتخاذ إجراءات التحقق منها قبل اتخاذ القرار (طلحة يسمع خبر ظهور نبي في مكة ويبدأ إجراءات التحقق من الخبر).

في أي مكان وفي أي مجال وفي أي وقت، يتعرض كل واحد منا إلى سماع أخبار إما أن تكون غريبة أو خطيرة، المهم أن هذه الأخبار لابد أن يترتب عليها اتخاذ قرار وعمل، والتصرف السائد في مجتمعاتنا هوالتعامل العاطفي مع الخبر، وهذا التعامل العاطفي هوالذي يجعلنا نصدق الخبر أو نكذبه دون تحقق من صدق مصدره أو من منطقيته، والخطر أننا نبدأ في إشاعة الخبر دون التحقق منه، ليسبب انتشاره نوعا من الهرج والبلبلة في الوسط المحيط.

والتصرف الذي يرشدنا إليه الإسلام، هوالتحقق من الخبر قدر الإمكان قبل إشاعته واتخاذ قرار بشأنه، بالتأكد من صدق مصدره، والتحقق من مصدر مختلف غير مرتبط بالمصدر الأول، وعرض الخبر على العقل والمنطق، وبعدها يكون هناك معنى للتصديق أوالتكذيب، وبعدها يصبح اتخاذ قرار ما منطقيا وفعالا، ويسير في اتجاهه الصحيح.

٢- لابد أن نكون إيجابيين مع الخبر لا سلبيين (طلحة يسافر إلى مكة للتحقق من الخبر ويتخذ قرارا باعتناق الإسلام).

في كل يوم نسمع عشرات الأخبار في نشرات الأخبار، أخبار ندرك خطورتها جيدا، سواء كانت أخبارا تخص قضايانا الإسلامية الكبرى، أو تخص حياتنا الداخلية في بلادنا، ويمنعنا القهر الذي نعانيه في المجتمعات العربية والإسلامية من التفاعل مع هذه الأخبار، فأصبحنا نسمعها لنسمعها، ثم نمل من سماعها، لعجزنا عن التفاعل معها بصورة إيجابية.

هذه السلبية في التعامل مع الأخبار التي نشاهدها على الشاشات يوميا، انسحبت علينا في التعامل مع أخبار أخرى تحدث في حياتنا الاجتماعية اليومية، فنكتفي فيها بالكلام، ولا نفكر في كيفية التحرك الإيجابي لاتقاء الخطر إن كان خطرا، أو للمساندة والمساعدة إن كان خبرا إيجابيا بناء.

فلنحاول أن نكون إيجابيين ، ولنتحرك قدر استطاعتنا للتفاعل.

٣- الدفاع عن الرسول ﷺ ودفع الأذى عنه هو في الأصل دفاع عن العقيدة وعن الرسالة وعن الإسلام (طلحة يتلقى السهام عن الرسول ﷺ حتى تشل يده).

جميل وطبيعي وواجب أن تخرج المظاهرات في كل مكان دفاعا عن الرسول ﷺ عقب الإساءة

التي لحقت به من جراء الرسوم الكاريكاتيرية التي رسمها أحد الرسامين الدنماركيين، ولكن المشكلة.. هي أننا لا نعرف لماذا ندافع عن الرسول ﷺ بالتحديد، وبقليل من التفكير.. ندرك أننا ندافع عن الرسول ﷺ لأنه شخص غير عادي، بمعنى أنه النبي الذي تحمل من أجلنا الكثير والكثير، ليبلغ رسالته إلينا، لنجد أنفسنا وقد أصبحنا مسلمين دون عناء..

معنى هذا.. أننا ندافع عن الرسول ﷺ لأنه أتى بالإسلام، أي أننا ندافع عن الرسول ﷺ من أجل الإسلام الذي بلغه إلينا، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نهين الإسلام بتصرفاتنا إذن ؟ وإذا كنا نقدر الرسول ﷺ ونحبه ونتحمل الأذى في سبيله، فلماذا نتجاهل كلامه وتعليماته وأوامره في حياتنا؟ لماذا نحب الكلام أكثر من العمل؟ لماذا نحب أن نثبت أننا نحب بالكلام لا بالفعل؟ لماذا أصبحنا قوما غير عمليين ؟ نحب أن نرتدي الثياب الفاخرة أمام وسائل الإعلام لنجمل الكلمات والأفعال، ثم نرتكب الأفعال المشينة إذا توارينا عن الأعين ؟!

إن الرسول ﷺ لا يحب ذلك، ولن يقبل الرسول الكريم ﷺ دفاعا عنه سوى أن نتبع ما جاء به، وأن نبدأ في دراسة سيرته وسنته والاقتداء بها في حياتنا اليومية، ولنتحمل في سبيل ذلك ما نتحمل من الأذى، ولنضحي بما نستطيعه من تضحية، وأن نساهم مساهمة فعالة من أجل رفعة أمتنا وبلادنا، اقتداء بالمنهج الذي جاء به.

هذا فقط ما يرضي الرسول ﷺ.. العمل لا الكلام.

٤- لماذا لم يتوقف طلحة عن العبادة والجهاد بعد بشارة الرسول ﷺ له بالجنة (الرسول ﷺ يبشر طلحة بالجنة وهو لا يزال مستمرا في جهاده).

إذا أخبرك المدرس أنك ستنجح في امتحانه آخر العام.. هل ستستمر في المذاكرة ؟

وإذا أبلغ نفس المدرس ألفا من الطلبة بنجاحهم آخر العام في مادته، فهل نتوقع أنهم سيبذلون جهدهم بنفس الدرجة اللازمة للحصول على النجاح ؟

المتوقع بالطبع.. هو انصراف الطلبة عن المذاكرة وترك المادة تماما حتى نهاية العام.

لكننا ربما تصادفنا حالة خاصة، وخاصة جدا، هي أن يستمر أحد هؤلاء الطلبة في المذاكرة باجتهاد، والحضور بانتظام كما لو كان لم يسمع وعد المدرس.

وهنا سنسأل أنفسنا سؤالا.. لماذا استمر هذا الطالب في اجتهاده رغم يقينه بنجاحه في نهاية العام ؟!

الإجابة المنطقية الوحيدة هنا، هي أن هذا الطالب لا يذاكر من أجل النجاح، بل يذاكر من أجل

العلم ذاته، هو يريد أن يبحث عن الحقائق ويعرفها ويستخدمها ويستفيد منها ويفيد بها الآخرين.

وهنا.. هل تتوقع أن يكون مستقبل هذا الطالب كمستقبل غيره من الطلبة ؟

الإجابة المنطقية والمتوقعة أيضا، هي أن هذا الطالب سيسلك طريقا فريدا ليصبح حالة خاصة في المجتمع، ربما يكون بعدها عالما فذا أو قائدا مؤثرا أو مفكرا كبيرا.

وربما هنا نستطيع أن نفسر لماذا استحق الصحابة المبشرون بالجنة أن يكونوا مبشرين؛ فلقد أصبح الهدف من أعمالهم أبعد من مجرد الرغبة في بلوغ الجنة، فلقد صار الهدف أبعد من ذلك.. وهو إرضاء الله.

ولم يكن هؤلاء هم الأشخاص الذين ستتغير مبادئهم وشخصياتهم لبلوغهم هدفهم المادي المقصود، فيتصرفون تصرفات تشيع الفتنة بين الناس.

لقد أدرك هؤلاء الصحابة عظمة الإسلام وقيمة حب الله، بغض النظر عن بلوغ الجنة، ولقد وجدوا السعادة في الإسلام، ورأوا أنه من المستحيل - رغم أنهم في كامل حريتهم - أن يتحللوا من تكاليفه بعد أن ضمنوا الجائزة.

وبعد..

هل تعتقد أنه من الرحمة أن يبلغنا الله الآن بأننا جميعا دخلنا الجنة ؟ وماذا تتوقع تصرفنا بعدها؟

هل سنترك تعاليم الإسلام مطمئنين إلى أننا فزنا بالجنة ؟ وهل لو فعلنا ذلك.. هل نضمن أن نعيش حياتنا في سعادة ؟

إن من رحمة الله بنا أن جعلنا دائما في اختبار دائم.. وبشارة الجنة مسئولية كبيرة، ربما لا يستطيع حملها الكثيرون.

٥- إذا اشتركت في خطأ، وتبين لك خطأ موقفك، فمن الشجاعة والإخلاص أن تنسحب (طلحة بن عبيد الله ينسحب من الحرب بعد شعوره بخطئه بعد رؤيته عمار بن ياسر).

ربما يتخذ المرء موقفا عن قناعة شخصية بما يفعل، وربما يكون واحدا من مجموعة قد اتخذت نفس الموقف، وقد يحدث نتيجة لتوالي الأحداث والمواقف، أن تنكشف بعض الأمور وتتغير رؤية الأشياء، ويجد المرء نفسه يقف في المكان الخطأ، وربما يدفع الخوف من الغير وأحيانا الكبر وأحيانا أخرى الخوف من اعتبار التراجع هزيمة - الشخص ليستمر في موقفه رغم يقينه بخطئه، ومن هنا وبالتحديد يكون ارتكاب الخطأ.

فالخطأ أن ترتكب الخطأ مع علمك بكونه خطأ؛ ولذلك فإن الإسلام جعل الإصرار على الصغيرة كبيرة؛ لأن العناد والكبر يقطع طريق التوبة والرجوع، و يسير بالإنسان والمجتمع إلى الهلاك.

فلنمتلك الشجاعة على تغيير مواقفنا إذا انكشف خطؤنا، ولنفعل ذلك بحكمة وجرأة وإخلاص ولا نخش في الله لومة لائم، حتى وإن دفعنا ثمن ذلك، كما دفع طلحة بن عبيد الله ثمن تراجعه عن الخطأ.. حياته.

* * *